كتبها ماثيو ثريفت ونشرتها مجلة "سايت & ساوند" السينمائية في 4 يوليو 2024.

المراقبة، الاستماع، الانتباه الشديد للتفاصيل، تجميع شظايا المعلومات لإنشاء سرد كامل – هناك تناغم معين بين فن المراقبة وفعل مشاهدة فيلم. السينما نفسها تتسم بطبيعتها بالمراقبة، وأفضل الأفلام عن المراقبة لديها القدرة على التقاط المثالية الأفلاطونية للسينما النقية. "لديك رجل غير متحرك ينظر إلى الخارج، هذا جزء من الفيلم"، قال ألفريد هيتشكوك لفرانسوا تروفو عن "نافذة خلفية" (1954). "الجزء الثاني يظهر ما يراه والثالث يظهر كيف يتفاعل. هذه في الواقع التعبير الأكثر نقاءً عن الفكرة السينمائية."

بالطبع، بعيدًا عن التطبيقات النظرية لتقنية السينما، فإن المراقبة في العالم الحقيقي تكون عادة أكثر خفية في وظائفها. العديد من الأفلام أدناه تستجوب الاستخدام الشنيع لأدوات المراقبة من قبل فاعلين سيئين – سواء كانوا أفرادًا أو الدولة. من المحققين الذين يقومون بمراقبة تستمر لعدة أيام مع قليل من المناظير، إلى أكثر الأجهزة التقنية الحديثة التي ترى كل شيء، تستكشف الأفلام في قائمتنا العديد من وسائل المراقبة السرية.

المراقبة (1958)

Stakeout

المخرج: يوشيتارو نومورا

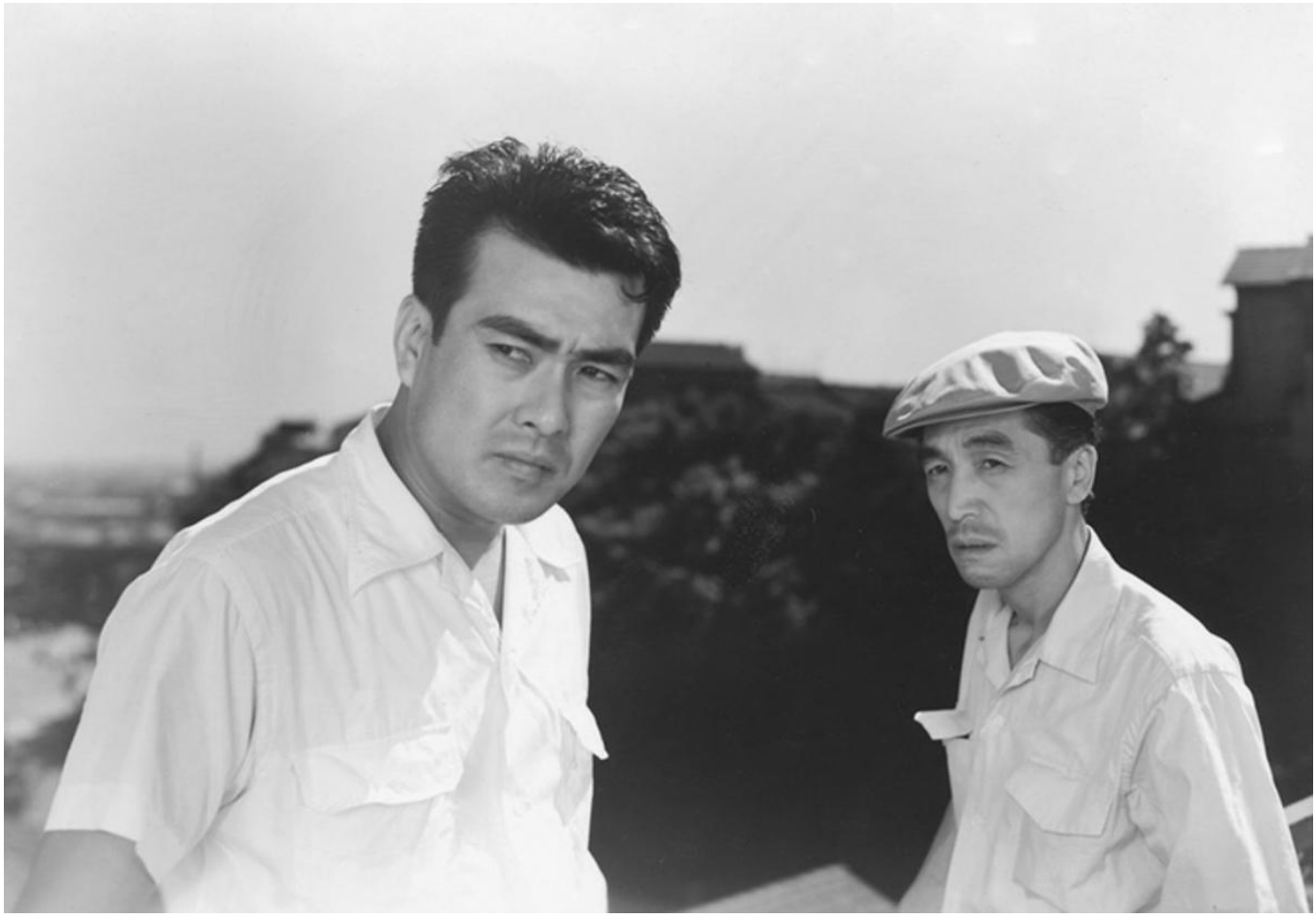

بدلاً من بدء قائمتنا بأفلام المراقبة من أوضح الأماكن - مع "نافذة خلفية" (1954) - هذا عمل أقل شهرة من اليابان: واحدة من أوائل الصور التي استلهمت من الكلاسيكية المراقبة لألفريد هيتشكوك.

في حرارة الصيف الشديدة، يسافر محققان من طوكيو بالقطار إلى كيوشو، أقصى جنوب الجزر الرئيسية في اليابان. متنكران كبائعين، يقيمان في نزل مقابل منزل بالضاحية، على أمل أن الرجل المشتبه به في جريمة قتل في محل مجوهرات سيقوم بزيارة عشيقته السابقة، التي أصبحت الآن ربة منزل. ومن الجدير بالذكر أن ربة المنزل هذه تلعب دورها هيديكو تاكاميني، المفضلة السابقة للمخرج ميكيو نارس، وأكبر نجمة في السينما اليابانية في ذلك الوقت.

مع القليل من الحوار، تقوم تاكاميني بأعمالها المنزلية – تنظيف الفناء، إعداد الطعام – بينما يراقبها رجال الشرطة. يركز يوشيتارو على التفاصيل اليومية، محللاً الواقع المالي للنزل والصعوبات الاقتصادية لربة منزل ما بعد الحرب. عندما يظهر المجرم، تتحول عمليات المراقبة المستدامة إلى السوق والعودة إلى مطاردة مثيرة عبر البلاد. بعد القبض على مطلوبهم، يُترك رجال الشرطة ليتأملوا في مصير تاكاميني الغامض في الحياة: "ستخفي نفسها الحقيقية المليئة بالشغف، وستصبح ربة منزل مملة تخيط."

ألف عين للدكتور مابوز (1960)

The 1,000 Eyes of Dr. Mabuse

المخرج: فريتز لانغ

تسبب التخريب الصناعي والاغتيالات السياسية في إرباك السلطات. المريخ في بيت الموت، واسم مألوف قد ارتفع من رماد التاريخ. "أيها السادة، هل يعني اسم الدكتور مابوز أي شيء بالنسبة لكم؟" يسأل مفتش الشرطة. "عبقري إجرامي، أراد أن يصدم العالم بأعمال إرهابية، ويقوض الحكومات ويؤسس مملكة جريمة رائعة... انتهى به المطاف في مصحة عقلية حيث كتب نوعًا من الوصية الأخيرة وتعليمات الجرائم التي كان يخطط لها. في عام 1932، توفي مجنونًا."

هناك من يقلد العقل المدبر الشرير في الفيلم الأخير لفريتز لانغ، الثالث في ثلاثية بدأت مع "الدكتور مابوز، المقامر" (1922) واستمرت مع "وصية الدكتور مابوز" (1933). الإعداد هو فندق مغطى بكاميرات أمان، مرايا ثنائية الاتجاه، ممرات سرية وأقبية عازلة للصوت – الملاذ المثالي لسيد الشر والمراقبة. يحول لانغ مابوز الرجل إلى فكرة لا يمكن إخمادها، مصوغًا الفيلم المثالي بأسلوبه المتأخر. قد يكون مابوز ميتًا، لكن ما يمثله لا يزال حيًا. ليس من دون سبب أن "كابوس النازية بالكامل" يُذكر صراحة في تحذير لانغ النهائي ضد حالة الثقة ما بعد الحرب.

الأذن (1970)

The Ear

المخرج: كاريل كاتشينا

زوجان في منتصف العمر في زواج سام، يدخلان في معركة شرسة من التفوق. لكن فرجينيا وولف هي آخر شخص يحتاجان إلى الخوف منه بينما يلقون الإهانات على بعضهما في هذه التحفة الكابوسية من المخرج التشيكي كاريل كاتشينا. تم تصويره في عام 1969 (مع دبابات سوفيتية بالفعل في شوارع براغ)، واكتمل في عام 1970، لكن تم حرمانه من أول عرض عام له لمدة 20 عامًا أخرى، كان "الأذن" واحدة من القلائل من أفلام عصرها التي تتعامل مع واقعيات الأنظمة الشمولية مباشرة.

عند العودة إلى المنزل من حفلة للعثور على سيارة مشبوهة متوقفة خارج منزلهم ومراقبتهم بالأسلاك إلى السقف،

يتأمل الثنائي في أحداث الليلة في محاولة لمعرفة ما أثار غضب الشرطة السرية. مع انقطاع الكهرباء، يتم إضاءة الشموع، بينما يحقق كاتشينا توازنًا قويًا بين الكوميديا المنزلية المظلمة والجنون في أفلام "النوار" (التحقيقات). من خلال تصوير المحادثات في الحفلة من منظور الشخص الأول – ينظر المشتبه بهم مباشرة إلى الكاميرا – يصنع كاتشينا احتفالات تعبيرية من جنون الشك والخوف. الأبطال ليسوا معارضين بل أعضاء كاملين في آلة الحزب، ما يسلط الضوء على الموضوع المركزي المرعب للفيلم – أن لا أحد في أمان من نظرة الدولة الخبيثة.

أشرطة أندرسون (1971)

The Anderson Tapes

المخرج: سيدني لوميت

شون كونري يشاهد شون كونري على التلفاز. إنه خبير فتح خزائن، على وشك أن يخرج من السجن بعد 10 سنوات. إنه في جلسته الأخيرة مع مجموعة العلاج، يشاهد فيديو لنفسه يتحدث عن مهاراته في فتح الخزائن. بينما يخرج، يلتقط المخرج سيدني لوميت كاميرات الأمان التي تراقبه. شخص ما دائمًا يراقب في "أشرطة أندرسون"، واحدة من أوائل موجة أفلام المؤامرة في السبعينيات.

يعد كونري أندرسون لتعيين وظيفة أخيرة، وهي سرقة متعددة الغرف من مجمع شقق فاخر. الشرطة على علم به، تراقب أماكنه القديمة وتقوم بتركيب أجهزة تنصت في كل مكان. في هذا الفيلم الأول من سلسلة لوميت من الأفلام

الرائعة في نيويورك، يتم التقاط وتصوير الكثير من الأحداث من خلال أجهزة المراقبة – تسجيلات صوتية، قراءة الشفاه، لقطات مراقبة بتنسيق 16ملم. كل هذا يقدم نظرة متبصرة على دولة المراقبة الأمريكية في طور التكوين، بينما يضيف تسجيل كوينسي جونز الإلكتروني – وكريستوفر ووكين في أول دور له على الشاشة الكبيرة – بعض الحيوية لمغامرات كونري.

المحادثة (1974)

The Conversation

المخرج: فرانسيس فورد كوبولا

قد يكون فيلم "ميغالوبوليس" (2024) لفرانسيس فورد كوبولا قد استغرق عقودًا في الإعداد، لكن إذا كانت السيرة الذاتية الأخيرة لسام واسون عن المخرج تشير إلى شيء، فإن جذور فيلمه الارتيابي (البارانويدي) "المحادثة" تعود إلى أبعد من ذلك. "كان يذهب إلى القبو كلما استطاع، يبني ويركب الأسلاك"، كتب واسون عن كوبولا قبل سن المراهقة، "ثم كان يقوم بالتنصت على المنزل." لم يكن والديه "يعلمان أنه كان يخبئ ميكروفونات صغيرة في كل راديو في كل غرفة [...] المراقبة والاتصال – هكذا كنا سننتقم من المتنمرين في المدرسة."

يمكن أن تكون هذه قصة أصل لــ هاري كول، الخبير في التنصت الذي يتمحور حوله تحفة كوبولا الحزينة. تقع بين المراقبة الهتشكوكية والعزلة الملبسية، ولكن بروح حزينة تمامًا خاصة بها، يعتبر "المحادثة" أعظم أفلام المؤامرة في السبعينيات. مع سرده على شكل لغز – يدور حول جريمة قتل قد تكون حدثت أو لا – تتكشف من تصميم الصوت الاستثنائي لوولتر مورتش، إنها استكشاف مدمر للوحدة، والشعور بالذنب، وفقدان الإيمان.

تفجير (1981)

Blow Out

المخرج: بريان دي بالما

قليل من المخرجين يفهمون التآزر بين السينما والمراقبة مثل بريان دي بالما. يمكن أن تأخذ أي عدد من أفلامه موقعًا في هذه القائمة. هناك برنامج "بيبينغ توماس" الذي يفتح "الأخوات" (1972)، أو مراقبة الوقت المتسارع في "تأنق للقتل" (1980)، أو المراقبة الهتشكوكية في "جسد مزدوج" (1984)، أو حيل التجسس عالية التقنية في "مهمة: مستحيلة" (1996).

قناة كشف الأسرار الغامضة لفيلم ميشيل أنطونيوني "تفجير" (1966) مثلما هو الحال مع جنون "المحادثة"، حصل "تفجير" على تقييمات عالية من المعجبة جداً بدي بالما، بولين كايل، التي وصفته بأنه أفضل أفلامه. يلعب جون ترافولتا دور مهندس الصوت السينمائي الذي يلتقط مسار بيئة خارجية عندما يكون شاهدًا على سيارة تتجه إلى

بحيرة. هل انفجر الإطار، أم أنه يسمع رصاصتين على شريطه، تشير إلى اغتيال سياسي؟ بما أن هذا فيلم من دي بالما، فإن الشكل والمحتوى ليسا غير قابلين للفصل بقدر ما هما مشغولان في رقصة ميتا نصية. إنه فيلم مليء بالصوت والغضب يتحرك بلا هوادة نحو مأساة يونانية في ذروتها المحطمة ونهاية مؤلمة.

عطلة أوستريمان (1983)

The Osterman Weekend

المخرج: سام بيكيمباه

كل عام، يحضر مراسل الأخبار التلفزيوني جون تينر (روتجر هاور) لم الشمل مع ثلاثة من أصدقائه في الجامعة. هذه المرة، حان دوره للاستضافة. المشكلة هي أنه قد تم القبض عليه من قبل عميل مكتب التحقيقات الفيدرالي جون هيرت، الذي يخبره أن زملاءه السابقين جميعهم جواسيس كيه جي بي يسعون إلى "تغيير سياسي عنيف وفوضوي وكارثي". الخطة هي تجهيز المنزل بالفيديو والصوت وإقناع أحدهم بالرجوع عن عمالته.

مقتبس من رواية روبرت لودلوم (هويات بورن)، وآخر فيلم أخرجه العظيم سام بيكيمباه، كان "عطلة أوستريمان" فيلماً معروفًا بإثارته الجدل. مع إعادة قطع الفيلم دون مقدمته، لم يظهر حتى عام 2022 إصدار يمكن مشاهدته مع النسخة المقطوعة للمخرج، والتي تم مسحها من الشريط الشخصي لبيكيمباه. إنه أفضل بكثير مما توحي به سمعته، حتى لو استغرق الأمر بعض الوقت لتجاوز كميات كبيرة من الإعداد التفسيري. بيكيمباه، كما هو معتاد، لديه عين محرر لمشهد بارز – مطاردة سيارات بتقنية الحركة البطيئة؛ تبادل إطلاق نار بجانب المسبح – لكن وفرة الشاشات داخل الشاشات هي التي تعكس إدراكنا للواقع المراقب للفيلم.

ديجا فو (2006)

Déjà Vu

المخرج: توني سكوت

نيو أورلينز. يتم تفجير عبارة سيارات بواسطة إرهابي وحيد. عميل مكتب الكحول والتبغ والأسلحة النارية دينزيل واشنطن يطارد أثرًا باردًا. حتى يتم تقديمه لجهاز مراقبة سري يمكنه تقديم بث فضائي مباشر من أي موقع قبل أربع أيام ونصف. واشنطن في الحاضر بعد التفجير، ينظر من خلال نافذة إلى الماضي قبل التفجير، على الرغم من أن الماضي الذي يتعقب بسرعة الحدث الكارثي.

مع تداخل خطين زمنيين في الوقت نفسه، يتتبع واشنطن المفجر بمساعدة سماعة رأس محمولة، مما يؤدي إلى واحدة من أكثر مطاردات السيارات استثنائية تم تصويرها على الشاشة. واشنطن يقود في الحاضر، مطاردًا سيارة لا توجد إلا في الماضي. أضف إلى المزيج ضحية جميلة من الانفجار التي يصبح دينزيل مهووسًا بها. لإنقاذها، عليه أن يغير الماضي، من خلال النافذة لجهاز المراقبة. مستلهمًا من الكوارث الأمريكية مثل 11 سبتمبر وإعصار كاترينا تمامًا

كما هو مستلهم من "دوار" هتشكوك (1958)، يعتبر "ديجا فو" فيلمًا تم تشكيله بروح من تحقيق الرغبات، الشعور بالذنب والندم. أوركسترا توني سكوت الزمنية والمكانية لا تكاد تصدق. إنه واحد من أعظم أفلام الاستوديو في هذا القرن.

عين في السماء (2007)

Eye in the Sky

المخرج: ياو ناي-هوي

"يجب أن تتذكر التفاصيل"، يقول الرقيب وونغ (سيمون يام) من وحدة المراقبة في شرطة هونغ كونغ للموظَّف الجديد عنده. نفس الحكمة يمكن أن تكون شعارًا لهذا الفيلم الدقيق من المخرج ياو ناي-هوي والمنتج جوننى تو.

الإعداد مباشر مثل وقت تشغيل الفيلم الذي يقل عن 90 دقيقة: عصابة مسلحة تهاجم متاجر المجوهرات في جميع أنحاء المدينة؛ الشرطة على علم بهم، مما يثير عملية تعقب معقدة.

"هناك كاميرات في كل مكان"، يلاحظ الشرير الرئيسي، الذي يحمل الاسم الرمزي "رجل فارغ" (توني ليونغ كا-فاي)، محذرًا فريقه. يأخذ ياو كلمته على محمل الجد، ويضع مجموعة مذهلة من لقطات الأمان، لقطات مراقبة بعيدة المدى، زووم سريع، وكاميرات علب السجائر لالتقاط الحدث. من خلال القطع على خطوط العين والإيماءات الدقيقة، لا يوجد لقطة مهدرة في هذا الفيلم المثير المقتصد. إذا لم يكن شعار شركة الإنتاج في هونغ كونغ "ميلك واي" الذي يفتح الفيلم كافيًا لرفع نبضك بمفرده، فإن وعد لام سويت كشرير مهووس بالشواء يسمى "الرجل السمين" ينبغي أن يفعل ذلك.

سيتيزن فور (2014)

Citizenfour

المخرج: لورا بويتراس

"لورا، في هذه المرحلة يمكنني أن أقدم شيئًا أكثر من كلمتي. أنا موظف حكومي كبير في قسم الاستخبارات. آمل أن تفهمي أن الاتصال بك هو مخاطرة عالية للغاية ... لن يكون هذا مضيعة لوقتك." هكذا بدأت أول رسالة بريد إلكتروني للمخرجة لورا بويتراس من مُخبِر مجهول في يناير 2013. بعد خمسة أشهر، التقت بمرسلها البالغ من العمر 29 عامًا في فندق في هونغ كونغ، برفقة الصحفيين غلين غرينوالد وإيوان ماكاسكيل. بدأت في تسجيل هذا الوثائقي بينما كشف المُبلغ عن اسمه أنه إدوارد سنودن.

على مدار الأسابيع والأشهر القادمة، ستصدر كميات هائلة من البيانات، توضح مدى مراقبة الولايات المتحدة والمملكة المتحدة لمواطنيها. أمام الكاميرا، يتحدث سنودن للثلاثي من خلال الملفات، موضحًا دوافعه. في آن واحد وثيقة تاريخية مذهلة وبورتريه مؤلم للضعف البشري – فإن وصف سنودن لقطع الروابط مع شريكته وأصدقائه وعائلته مؤلم جدًا – يجري "سيتيزن فور" مثل فيلم إثارة بأعلى المخاطر. ستحصل بويتراس على جائزة أوسكار، بينما يحصل غرينوالد على حصة من جائزة بوليتزر الخاصة بصحيفة الغارديان، بينما يبدو أن سنودن سيقضي بقية حياته في المنفى

الروسي.

الكاتب: رمان الثقافية